لسانيات النص وتحليل الخطاب – مفاهيم وأبعاد –

أ. عدنان ثامر

قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات – جامعة المسيلة

الملخص:

لسانيات النص وتحليل الخطاب من أحدث المناهج اللسانية . والتي تسعى إلى تقديم الجديد في تحليل النص ، واستكشاف بنيته الداخلية ، والوقوف على بلاغة تماسكه ، وانسجام عناصره .

ويسعى هذا المنهج كذلك إلى اكتشاف خصوصيات النصوص ، لأنه تجاوز تحليل التراكيب والجمل إلى مستوى أكبر هو البنية العامة للنص ، وتتميز أهمية تحليل هذا المستوى الأكبر في أنه يعتمد على العلمية والموضوعية في الدراسة من خلال التفاعل المعرفي بين المنهج والنص

إن لسانيات النص وتحليل الخطاب مقاربة من المقاربات التي تهتم بتحليل الخطاب في مختلف مستوياته انطلاقا من إفادات استمدتها من دراسات سابقة تتصل بالفكر اللساني والمعرفي والاتجاه التداولي ، كالدراسات الأسلوبية والبلاغية ، مما ساعد على تصور النص باعتباره كيانا لغويا متعدد المستويات ، والذي دعا إلى إنشاء علم للنصوص هو الأنسب للخطاب المدروس، عكس المناهج السابقة التي كانت تقف عند أجزاء النص فقط.

ومن هنا يأتي هذا المقال ليعالج مفهوم لسانيات النص وتحليل الخطاب ويقف عند الحدود المنهجية لهذا المنهج انطلاقا من التساؤل الآتي : هل هذا المنهج يهتم بالوسائل الشكلية للربط بين الجمل داخل البنية النصية ؟ أم أنه يبحث في العلاقات التي تنظّم نسيج النص ومكوناته ؟ .

– الكلمات المفتاحية : الخطاب – النص – تحليل المحادثة– لسانيات النص – تحليل الخطاب – السياق .

Résumé:
Linguistique de texte et analyse de discours des dernières approches linguistiques qui cherche à introduire de nouveaux en analyse de texte
et explorer sa structure interne et soutenir la rhétorique de sa cohésion et l'harmonie de ses éléments .
Cette approche cherche également de découvrir les particularités des textes parce qu'il a dépassé l'analyse des compositions et des phrases , la structure générale du texte , est plus large l'importance d'analyser ce niveau plus élevé est qu'il est adopté sur la science et l'objectivité dans l'étude par l'interaction cognitive entre curriculum et texte .
La linguistique textuelle et l'analyse du discours sont des approches qui traitent l'analyse du discours à différents niveaux, sur la base de déclarations dérivées des études antérieures liées à la pensée linguistique et direction cognitive et délibérative telle que les études stylistiques et rhétoriques ce qui a permis de visualiser le texte en tant qu'entité linguistique multi-niveaux qui a appelé à la création d'une science des textes est le mieux adapté au discours étudié par contre les approches précédentes qui ne se trouvaient que dans certaines parties du texte.
Cet article traite donc du concept de linguistique et d'analyse du discours et se situe aux limites méthodologiques de cette approche basé sur la question suivante : Cette approche concerne-t-elle les moyens formels de lier des phrases dans la structure du texte ? qu' étudie-t-il les relations qui régissent la texture du texte et ses composants ?
les mots clés : Discours – Le texte - Analyser la conversation- Linguistique de texte - Analyse du discours – Le contexte .

توطئة : (من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص)

نشأت لسانيات النص تجاوزا للسانيات الجملة بمختلف توجهاتها (البنيوية ، الوظيفية ، والتوليدية التحويلية) والتجاوز هنا لا يعني « القطيعة العلمية بين تلك التوجهات واللسانيات النصية وإنما تطور العلوم يفترض استفادة اللسانيات النصية من كل معطيات اللسانيات الجملية ، وتجاوز قصور هذه الأخيرة من حيث ان الجملة لم تعد كافية لكل مسائل الوصف اللغوي من حيث الدلالة والتداول والسياق الثقافي العام وكل ذلك له دور حاسم في السياق العام»[1]

فإذا ما حاولنا النظر في لسانيات الجملة نجدها تنظر إلى علم اللسان على أنها كتلة لغوية صماء ، وهذا ما أدى بها إلى عجزها في الربط بين مختلف أبعاد الظاهرة اللغوية وما نتج عنه من فصل بين الفائدة التركيبية والفائدة التواصلية ، لأن البحث في لسانيات الجملة انحصر في شكلها (الجملة) التركيبي انطلاقا من مسلّمة مفادها أن الجملة عبارة عن فعل وفاعله (الفعلية) وما كان صدرها اسم (مركب اسمي) ، والمصدّرة بظرف (مركب ظرفي) ، وهذا التوسّع ابتعد عن تفسير المقصود بالفائدة أي أنه تجنّب الفائدة التواصلية للجمل والقدرة التأثيرية لها ، وكذا افتقار الجملة إلى مبدأ الترابط الجملي (النصي) مع الجمل التي قبلها وبعدها ، هذا الترابط هو الذي يحقق الكليّة والشمولية للتّتابع الجملي كوحدة منسجمة متماسكة ، لأن حضور التماسك بين الجمل واجب ، كون الجملة مهما كانت فإنها تمتلك بعض أشكال التماسك عادة مع الجملة السابقة مباشرة ، زيادة على ذلك أيضا فإن كل جملة تحتوي على رابط يحيلها بما حدث مسبقا وما سوف يحدث بعدها .

والظاهر أن الدراسات اللغوية حظيت بنصيب وافر من الدراسة الوصفية في إطار ما يسمي بلسانيات الجملة ، وقد أدى ذلك إلى تحصيل ركام علمي كبير تميزه دقة لا متناهية رغم اختلاف مناهج الدراسة ، ويمكن أن نحصر مباحث لسانيات الجملة في مجموعة من القضايا أهمها :

« – تعريف الجملة ومكوّناتها وأبعادها بالاعتماد على مفهوم الإسناد ومكوّناته مباشرة .

– تحليل الجملة والوقوف على عناصرها ، وما تشتمل عليه من مركّبات ، من اسمي وفعلي وظرفي وغيرها .

- بيان طرائق الربط بين عناصر الجملة .

– وصف بنية الجملة والتمييز بينها من حيث البساطة والتركيب .

– تحديد وظائف مختلف الجمل من تقريرية واستفهامية وتعجبية »[2]

وقد بقيت الجملة هي موضوع البحث والدراسة في الحقبة التي عرفت فيها اللسانيات أوج دراستها ، فالبحث اللغوي حقّق انجازات كبيرة تمثلت في دراسات شاملة ودقيقة لنظم مختلف اللغات ، غير أن القضايا التي كانت تدور حولها لسانيات الجملة لم تعد كافية فبعض الاستفسارات الخاصة بالدلالة والسياق لا يمكن الإجابة عنها إذا ما عدّت الجملة هي الوحدة اللغوية الكبرى أي أنه هناك « بعض العلاقات اللغوية بين الجمل التي تكوّن النص قد تكون روابط تماسكية نحوية وهنا يمكن الاستفادة من لسانيات الجملة أو النحو ، وقد تكون روابط تماسكية غير نحوية شكلية أي دلالية وهنا يجب البحث عن العلاقات بين الجمل في إطار معطيات اللسانيات النصية كما يمكن استثمار النحو وتوظيفه نصيا لكشف آليات التماسك داخل النص »[3] وهنا بدأ يظهر القصور و الانسداد في منهج لسانيات الجملة نظرا لعنايته بالشكلية في البحث وإبعاده دراسة المعنى ، ذلك ان الباحثين في مناهج اللسانيات الجملية يعتبرون اللغة نظاما مغلقا ويؤمنون بأن الجملة هي أكبر وحدة يمكن تحليلها نحويا .

وقد نتج عن هذا القصور ظهور دعوات عديدة تدعو إلى ضرورة تجاوز لسانيات الجملة و تأسيس لسانيات أشمل تتناول بالدراسة وحدات لغوية أوسع من الجملة ، ومن هذا المنطلق اتجهت اللسانيات إلى مرحلة جديدة لتؤسس نحو شبيه بنحو الجملة غايته وضع قواعد تتحكم في إنتاج النص وتنظّم مكوناته اصطلح عليه الباحثون مفهوم لسانيات النص .

والصلة بين لسانيات الجملة ولسانيات النص وثيقة إلى الحد الذي لا يمكن الفصل بينهما ، وتضيف لسانيات الجملة مهمة جديدة هي صياغة قواعد تمكّن الباحث من وصف الأبنية وصفا محكما متكاملا ، لأن الجملة في النص ذات دلالة جزئية ، ولا يمكن أن تتّضح الدلالة الحقيقية إلا بكلّية النص ، أي بمراعاة الدلالات السابقة واللاحقة في التسلسل الجملي . ويجب النظر إلى النص مهما صغر حجمه على أنه وحدة كلّية مترابطة الأجزاء من خلال الأبنية الكبرى المتلاحمة داخليا التي يقدّمها النص . لأن الجمل تحمل قيما جزئية لا يكون لها اعتبار كبير إلا باشتراكها في القيمة الكبرى

المتكونة من ذلك التكوين الأكبر (النص) فالحكم الكلي لا يستند إلى جزئيات وأشتات الجمل ، ولا يستقيم توجه النص إلا من خلال بنية كبرى تتسم بالانسجام والتماسك .

تحليل الخطاب والمفاهيم المتاخمة (جدل المفاهيم)

تحليل الخطاب مقاربة عابرة للتخصّصات تأخذ مفاهيمها من حقول معرفية مختلفة ، تهتم بالخطابات الشفهية والمكتوبة ، وتأخذ الأدوات التحليلية من عدّة مقاربات .

واستعمالات تحليل (discours annalysis) متعددة وتشتمل على مجالات واسعة من الأنشطة الاجتماعية الخطاب والنفسية والأسلوبية والتداولية « إنه في استفاضة دائمة موضوعا ، مجالا ، علما ، منهجا يسعى في اجتماع جزئيتيه اللتان ساهمتا بشكل فعّل في تكوينه إلى تحليل وفك شفرة الخطاب من أجل فهمه على اختلاف أنواعه (أدبي / شعري / نثري) ، سياسي ، إشهاري ، اجتماعي ، نفسي ، تعليمي ، علمي ...إلخ حتى لا نقف عند هذا الأخير (الخطاب) مكتوفي الأيدي وعاجزين لا نملك آليات التحليل ولا قدرة على القراءة والتأويل ، باعتباره خطابا متماسكا ، غاية في التعقيد والتشابك »[4] .

فتحليل الخطاب يسعى إلى دراسة المرامي الكلامية في الاتصال اللغوي من أجل الوصول إلى أقصى حد من المقروئية التي تعتبر نشاطا تفاعليا بين المتكلم والمستمع ، أو المؤلف والخطاب والقارئ « إذ تسعى هذه العملية إلى تفكيك الخطاب المحبوك المتماسك (شكلا ودلالة) المكتوب والمسموع إلى بنيات جزئية فاعلة ومتفاعلة : داخلية وخارجية من أجل معرفة مختلف المرجعيات الخطابية (الأسس المعرفية والخلفية والأطر النظرية للخطاب) التي ساهمت في تشكّله ، بمعرفة مضامينه : محتوياته – غاياته – معاييره – فضائه – بنياته – جنسه ...الخ ليتحقق التحليل ، الأمر الذي يجعل العملية غاية في التشابك والتعقيد تتطلب معرفة موسوعية عميقة في التخصص تحوفها معارف وروافد أخرى» [5]

وقد ارتبط مجال تحليل الخطاب بمفهوم الخطاب ، وقد عرف هذا المصطلح اضطرابا من ناحية المفهوم لارتباطه بتصوّرات مختلفة للغة ، فهناك من يربطه بالنص ، وهناك من يربطه باستخدام اللغة ضمن سياق خاص وانطلاقا من النص والسياق أي الظروف الخارجية المرتبطة بالنص يغدو تحليل الخطاب « كل تقنية تسعى إلى التأسيس العام والشكلي للروابط الموجودة بين الوحدات اللغوية للخطاب المنطوق أو المكتوب ، في مستوى أعلى من مستوى الجملة ، هذا الإقرار بوجود

مستوى – من الناحية الإجرائية – أعلى من مستوى الجملة ، هو الذي فتح المجال لتعريفات أخرى أخذت بعين الاعتبار العناصر الخارجية غير اللغوية ، وهو الأمر الذي أحدث تذبذبا في المفهوم »[6] فبنية الخطاب هي الموضوع المركزي لتحليل الخطاب ، ولا يمكن لهذه البنية أن تقتصر على القول الذي ينجزه المخاطب في زمان ومكان معينين ، وإنما تتعدى ذلك لتشمل الفعل القصدي ذو الأبعاد النفسية والاجتماعية فيصبح تحليل الخطاب حينها متعدّد الغايات بصفته عملا مؤثرا يمكن وصفه وتحليله وضبط آليات عمله ، وتفسير اشتغاله في حدث التخاطب .

ويهتم تحليل الخطاب بالتلفظ (الخطاب) الذي هو مرادف للجملة أو القول ، ولا يقف في تحليلاته عند الجملة .

والتلفظ لا يعتبر ظاهرة لسانية محضة في تحليل الخطاب وإنما تدخل فيه عناصر أخرى غير لغوية تتحكم في شروط إنتاج الملفوظ (الخطاب) لها علاقة بمختلف الميادين السياسية والاجتماعية والثقافية والتاريخية لأن « الخطاب وحدة خاصة ذات مستوى عال بالنظر إلى الجملة ومسار البنية الكلية أو الكبرى macro –structure ولا يجعل تعريف انسجام الخطاب متعلقا فقط بالتداخل الخطي للجمل ، ولكن يمكن معالجة تحديد انسجام الخطاب على صعيد البنية الكلية ، وفي هذا المقام يكشف "مانغنو" إمكانية الخروج عن المستوى التركيبي بين تداخل الجمل وتوسيعها من مجال اللسانيات إلى العلوم الإنسانية الأخرى »[7] ، فتحليل الخطاب يسعى إلى دراسة انسجام الخطاب بوصفه وسيلة للمعرفة ، والإلمام بسياقه الذي تحدّده ثقافة المجتمع .

ودراسة الخطاب أيضا تقتضي أيضا الإلمام بمجموعة من المعارف والعلوم ، وبالتالي يتداخل ما هو لساني بما هو غير لساني لأن تحليل الخطاب هدفه كذلك « ربط الملفوظات بسياقاتها ، وفي اغلب الأحيان يحدّد تحليل الخطاب بهذه الخصيصة غير أنه لا يدرس الملفوظات بشكل محايث immanente لكي يربطها بعد ذلك بالمعايير المختلفة (الخارجية) السياقية بل على العكس يسعى إلى الإحاطة بالخطاب بوصفه نشاطا غير مفصول عن هذا السياق »[8] فالخطاب ينتج في الواقع وليس بمعزل عن المشاركين في إنتاجه والزمان والمكان والغاية التي أنتج من أجلها ، والتي تتمفصل عبر مؤسسة لغوية معيّنة هي التي تحدّد نوع الخطاب .

وعن نشأة تحليل الخطاب يذكر الباحثون أن بداية ظهوره كانت في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر « وقد ظهر اتجاهان في التفكير اللساني لتحليل الخطاب يتجاوزان حدود الجملة في التحليل اللغوي :

– الاتجاه الأول يتمثل في الأعمال التي قام بها "كينث بايك " وزملاؤه حيث وجدوا أن تحليل الخطاب أساسي في تطور حقل الأنثروبولوجية ، واعتمدوا في تحليلهم اللغوي على استنتاج طبيعة ومعاني الكلمات والجمل في سياق استخدامها الاجتماعي ، ويجمع هذا الاتجاه بين العوامل اللغوية و العوامل غير اللغوية .

– الاتجاه الثاني ويمثله هاريس ، وقد قدّم منهجا لتحليل الخطاب المترابط connecte (منطوقا ومكتوبا) .

وقد استخدم فيه إجراءات اللسانيات الوصفية descriptive linguistics ليكتشف بها بنية النص structure of the texte وتجاوز في ذلك :

قصر الدراسة على الجملة والعلاقات فيما بين أجزاء الجملة الواحدة .

– الفصل بين اللغة language والموقف الاجتماعي social situation [9]»

فتحليل الخطاب امتداد للسانيات ، وتطوير للبحث اللساني ، وقد ساهم في ظهوره فروع معرفية مختلفة ، وإذا كان موضوع اللسانيات وحدودها هو الجملة فإن تحليل الخطاب يبدأ خارج الجملة من وحدة أعلى ، تستلزم تحليلا خاصا تسمى الخطاب ، لأن الظواهر الخطابية لا تختزل في تركيب يعادل تركيب الجملة أو القول .

وفي تعامل محللي الخطاب مع الخطابات المتنوعة فإنهم يهتمون بالاتصال وما يحيط به في الخطاب ، لأن الاتصال يمثل « نقطة ارتكاز للخطاب ، فلا يقف تحليل الخطاب عند حدود التفاعل اللفظي ، وإنما يتعدّاه إلى تناول شمولي يرصد مجمل عناصر العملية الاتصالية وظروف استعمالها ، فهو يتابع آليات الإنتاج والاستعمال والتلقي والتأثير بما فيها سياقاتها الاجتماعية والمعرفية وهذا الفهم الشمولي يثمر عن مقترب متمازج يستعير أدوات علوم وحقول معرفية متعدّدة بما يهيّئه لدراسة مختلف جوانب العملية الاتصالية »[10] ، وتعدّد أبعاد العملية الاتصالية جعل تحليل الخطاب مقاربة متعدّدة الاختصاصات « تستقي كثيرا من مفاهيمها من حقول علم الاجتماع والفلسفة وعلم النفس والإعلامية وعلوم الاتصال واللسانيات والتاريخ .

إنه مقاربة تتطبق على كثير من المواضيع المتنوعة والمختلفة من ذلك أنها تهتم بالخطاب السياسي والديني والعلمي والفني»[11] وتحليل الخطاب يتعامل مع مختلف الخطابات باعتبارها واقعا يتم تحليله عن طريق البحث فيها لأنها سلسلة من المواقف والتعليقات التي هي علاقات تسلط أو احتواء أو إقصاء تندرج ضمن أقوال أو نصوص متفاوتة الحجم ، وتأخذ

بعين الاعتبار سياق القول وخصائص القائل ، والخصائص الدلالية للخطاب ، وهنا يمكن القول أن تحليل الخطاب تحليل بنيوي لأنه في مبادئه يستمّد الأدوات التّحليلية من المقاربة البنيوية، كما أنه لا يغفل عوامل السياق والظروف الخارجية التي تحيط بالخطاب ، وهو أيضا يعتمد على التحليل الإحصائي النصي في الإجراء التحليلي كون الخطاب أيضا هو عبارة عن مجموعة من المعطيات النصية .

ويتداخل تحليل الخطاب مع مجموعة من الحقول المعرفية القريبة منه كتحليل المحتوى الذي ينظر إلى الخطاب على أنه انعكاس للواقع الخارجي ويتخذ في العموم أقوالا في حجم الجملة أو الفقرة موضوعا للدراسة ، وفي المقابل يدرس تحليل الخطاب الأقوال والخطابات على أنها هي الواقع ويعتمد على سلسلة من المواقف والتعليقات التي هي في الحقيقة علاقات لأنها أقوال حقيقية في سياقات حقيقية .

ويتداخل أيضا مع تحليل المحادثة الذي يدرس التعاون اللغوي في المحادثة لكونه توجه أنثر وبولوجي ونفسي « وتدخل هذه المقاربة ضمن الأعمال التي تعتبر اللغة نشاطا اجتماعيا تفاعليا والتي نشأت في الولايات المتحدة الأمريكية في نهاية الثمانينات ، وقد جاء في معجم تحليل الخطاب أنه ليس من السهل بما كان الحديث عن تحديد مصطلح المحادثة ، فهو يستخدم بالمعنى العام ليقصد به التبادلات الكلامية الحقيقية authentiques في المجتمع بمعنى أخص أنماط معينة من الأحاديث بغض النظر عن المقامات والأزمنة التي صدرت عنها »[12] .

ونشير في هذا المقام أيضا إلى فرع معرفي مهم استقل عن تحليل الخطاب ، ويندرج ضمن مجال التحليل الألسني يصطلح عليه المتخصصون مصطلح " التحليل النقدي للخطاب" « وقد نشأت هذه الدراسة رسميا في عام 1991 وهي تستخدم مصطلحات التحليل النصي لتربط بين بنية الخطاب والعلاقات السلطوية داخل المجتمع ، ولتتناول كيفية تحقيق هذه العلاقات وتثبيتها ، أو مناهضتها ، من خلال التفاعل الخطابي .

ويتميز التحليل النقدي للخطاب بأنه يقيم جسرا بين مجالين :التحليل اللغوي للنص والعلوم الاجتماعية ، وبالتالي فهو يحلله باعتباره معطى يستند إليه في تعليلاته النظرية »[13] فهذه المقاربة (التحليل النقدي للخطاب) ترفض البنيوية المجردة وتجاهل السياقات الإجتماعية والسياسية ، وتسعى إلى الاهتمام بالصراع والقوى والمعتقدات ، والقمع والقهر لأن

الخطاب ظاهرة اجتماعية ، وكل القضايا الاجتماعية يتم إنتاجها وتداولها باللغة وفي اللغة ، وأن الخطاب حقيقة تاريخية وفعل اجتماعي مؤثر ، ويحقق غايات إيديولوجية ، وهنا تأتي مهمة تحليل الخطاب في الوساطة بين النص والمجتمع ، ولا تقتصر مهمته على الشرح والوصف بل تتجاوزهما إلى التفسير والتأويل .

وكل ما ندافع عنه من أفكار وتوجّهات وميول و نحاول فرضها على الآخرين هي أولويات اهتمام التحليل النقدي للخطاب ، فكلّما كانت هناك قوة أو سلطة نفرضها أو إيديولوجيا أو توجه سياسي كان التحليل النقدي للخطاب صالحا للتطبيق .

وكل القضايا المذكورة سابقا تخفي ضمنيا قوة أو عقيدة داخل خطاب لغوي معين كالقصيدة أو المسرحية أو التقرير الإخباري أو الخطاب السياسي ، أو الإعلان التجاري ، كلها تشير إلى القدرة على التأثير في سلوك الآخرين وتأتي ضمن أولويات التحليل النقدي للخطاب ، ولا تختلف أدوات التحليل النقدي للخطاب عن أدوات تحليل الخطاب وسائر الاتجاهات الوظيفية .

كما يمكن الإشارة أيضا في هذه الورقة إلى نقطة مهمة تتعلق بقضية المصطلح ، فمصطلح التحليل النقدي للخطاب لا يقصد به تحليل الخطاب النقدي ، لأن المقصود ليس المنهج النقدي الشارح في إحدى نظرياته النصية أو السياقية ، أو إحدى النظريات النقدية الأدبية ، إن مصطلح التحليل النقدي للخطاب يقصد به تجاوز السياقات اللغوية والنصية في التحليل إلى الانفتاح على السياقات الاجتماعية مع التركيز على المساءلة والتمحيص والتفنيد مع مراعاة عدم الانسياق وراء الخدع الإيديولوجية وما تمارسه الايدولوجيا والسلطة من تعتيم .

هذا وإن تحليل الخطاب باعتباره حقلا معرفيا قد شهد تحولات عديدة فهو لم يقتصر على دراسة الخطابات الدينية والسياسية والأدبية ، بل تعدّى ذلك إلى حقول أخرى من المعرفة العلمية والممارسة الإنسانية « وفي الوقت الراهن فإن محللي الخطاب يدرسون تقريبا كل أوجه أنشطة التواصل الإنساني الشخصي والمؤسساتي والجماهيري في جميع السياقات البشرية تقريبا على امتداد أرجاء العالم المعروف ، هذا الاتساع الهائل في تحليل الخطاب توازى مع إعادة صياغة مستمرة

لعلاقاته البينية مع العلوم الإنسانية الأخرى »[14] وعليه يمكن القول أن تحليل الخطاب مقاربة تأخذ مفاهيمها من حقول معرفية مختلفة كعلم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة والذكاء الاصطناعي واللسانيات ، ويعتمد على أدوات تحليلية من المقاربة البنيوية وما بعد البنيوية ، ويعتني كذلك بدراسة الخطابات في ضوء الظروف الخارجية والمؤثرات المباشرة على الخطاب .

منهج لسانيات النص وتحليل الخطاب

موضوع لسانيات النص عميق ، يختلف منهجيا في التعامل معه عن لسانيات اللغة باعتبار أن الخطاب والنص شيء واللغة شيء آخر ، ولا يمكن أن ينكر أحد أن الحاجة « إلى اللسانيات النصية ضرورة ملحّة لتجاوز بعض الصعوبات التي واجهت اللسانيات الجملية ، وذلك لتغيّر الكثير من المفاهيم النقدية الحديثة ، وتغيّر النظرة اللسانية إلى مفهوم اللغة ووظيفتها »[15] فلسانيات النص تعنى بالنص كبنية كلّية وتسعى إلى تفسير النصوص وفق قواعد جديدة تركيبية ومنطقية ودلالية لتقدّم شكلا جديدا من أشكال تحليل بنية النص وهي تهتّم أيضا « بظواهر نصية مختلفة منها علاقات التماسك وأبنية التطابق و التّقابل والتراكيب المحورية ، والتراكيب المتجزئة ، وحالات الحذف ، والجمل المفسّرة ، والتحويل إلى الضمير ، والتّنويعات التّركيبية وتوزيعاتها في نصوص فردية ، وغيرها من الظواهر التّركيبية التي تخرج عن إطار الجملة المفردة التي لا يمكن تفسيرها تفسيرا كاملا دقيقا إلا من خلال وحدة النص الكلّية »[16] إنها تسعى من خلال تحليل الخطابات والنصوص إلى إبراز دور التواصل الاجتماعي للغة عن طريق البحث في علاقة تماسك النص بسياقه التواصلي وذلك عن طريق صياغة قواعد تحصر النص نحويا في لغة معيّنة بوضوح ، وإعادة بناء شكلي للكفاءة اللغوية الخاصة بمستخدم اللغة في نصوص أخري وقد « وظّفت لسانيات النص من أجل تحليل النصوص والخطابات على مستويات عدّة : صوتية ، وصرفية ، وتركيبية ، ومعجمية ، ودلالية ، وتداولية ابتداء من أصغر وحدة في النص هي الجملة إلى آخر جملة في النص عبر عمليات التّتابع والتّتالي »[17] فمهمة الباحث في اللسانيات النصية هو تتّبع صفات التوظيف الاتّصالي للنص أو الخطاب انطلاقا من مسلّمة مفادها أن الكلّ موجود في النص أو الخطاب وليس الجملة ، ولا يمكن أن يكون النص مجرد جمل متتابعة ، لأن معنى النص يتحدّد من مكوّناته ، وكل جملة داخل النص تحيل عليه كما تحيل على معناه الخاص .

ومجال البحث في لسانيات النص هو النص أو الخطاب ، وأثناء الحديث عن هذين المفهومين (النص والخطاب) وصعوبة الفصل بين المصطلحين من الناحية المنهجية ، فإن معظم اللغويين يجمعون على أن النص يمثّل المظهر الشكلي للخطاب ، بينما الخطاب هو الممارسة الفعلية للنص .

وتتداخل لسانيات النص أو علم النص بوصفه حقلا معرفيا مع ميدان تحليل الخطاب ويتشابك معه ، ويتضح الفرق الدقيق بينهما كما يلي « يعرّف الأول بأنه الدراسة اللغوية التي تهدف إلى الكشف عن مجموع القواعد التي تنظّم بناء مختلف النصوص ، وعن المعايير التي تميّز النص عن اللانص ، كما يعرّف أيضا بأنه العلم الذي يصف النظام الداخلي للنّص وطريقة بنائه ووظيفة كلّ جزء فيه ، بينما يعرّف تحليل الخطاب بأنه دراسة النص في علاقته مع ظروف إنتاجه (étude d'un texte avec ses conditions de production)[18]».

فتحليل الخطاب مهمته دراسة الخطاب مرتبطا بسياقه أي البحث في الخطاب مع مراعاة ظروف إنتاجه ، ومهمة علم النص أو لسانيات النص هي دراسة ووصف بنية النص ، والوقوف على مظاهر الترابط النصي فيه من إحالة واستبدال وتكرار وغيرها « وكلاّ من علماء النص وأصحاب تحليل الخطاب يجمعون على أن دراسة النص وتحليله يجب أن تشمل البنية النّصية وسياقها معا. ولعلّ الفرق الوحيد بين العلمين هو كما يرى "فان ديك " أن ما يطلق عليه العالم الأنجلو – سكسوني تحليل الخطاب (discours analysis) يقابله في بعض الدول الأوربية ، وفي فرنسا خاصة مصطلح علم النص (science du texte) »[19]

إن هذا التداخل في المصطلح بين حقلين معرفيين (لسانيات النص أو علم النص وتحليل الخطاب) يحتاج إلى تدقيق ذلك لأن أغلب الباحثين يستعملون في دراساتهم مصطلحات متماثلة في هذا الحقل المعرفي والتي تحيل إلى الشيء نفسه من قبيل لسانيات النص ، علم النص ، لسانيات الخطاب ، نحو النص ، وهذا الموضوع يحتاج « إلى بحث قائم بذاته مستقل يروم التأريخ لنشأة الأفكار في هذا الحقل ويتتبّع التغييرات راصدا الإبدالات الفكرية التي تحكّمت فيها أو أملتها على الأقل »[20] .

لقد اقتضى تحول الأنساق المعرفية وتطورها وحركيّتها إلى الانتقال من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص أو علم النص ، ومن النظرة الجزئية للجملة إلى النظرة الكلية للنص المكتوب أو الخطاب المنجز « فقد أحرزت اللسانيات النصية وتحليل الخطاب والأسلوبية والشعرية الحديثة والتحليل التداولي للخطاب تقدّما معرفيا ومنهجيا ، إذ أتاحت للباحثين والقراء أن يقفوا في النص المدروس على عناصر وخصائص وعلاقات لم يكن بوسعهم الوقوف عليها بنحو الجملة أو لسانيات الجملة ، وهكذا أصبحنا في الوقت الراهن أمام ظاهرة جديدة أو سمة فارقة تميّز البحث النصي اليوم إنها ظاهرة تعدّد المعارف أو التداخل المعرفي على مستوى التركيب والدلالة والتداوليات التي تستلزم من المحلل دراية واسعة في فروع معرفية كثيرة ، وتفرض بناء بنية تحليلية متماسكة ومنسجمة تدرج تعدّد المعارف وتداخلها ، أي تفرض الحاجة الملحّة إلى علم جديد أو اتجاه بحثي يمكنه احتواء هذا التداخل المعرفي الجديد »[21] فتداخل لسانيات النص مع تحليل الخطاب في حقل معرفي واحد يبحث في النص والخطاب يؤدي إلى اكتشاف بلاغة الخطاب ، ويبرز جمالياته ، وقيمه البلاغية .

وهذا الحقل المعرفي المشترك مكّن من الانفتاح على مجلات معرفية وثقافية مختلفة ، « ولم تعد دراسة اللغة منحصرة في دائرة الأصوات والتركيب ، ولكنها في ظل لسانيات النص وتحليل الخطاب انفتحت على الأنساق المعرفية لأن اللغات الانسانية تمثّل مرتكزا رئيسا للثقافة ومرآة حقيقية لها .

فانفتاح النسق اللساني على ميادين معرفية مختلفة يمكّن من استيعاب النص وتناوله بالدراسة الشاملة التي تحيط بأجزائه ومؤلفاته »[22] .

إذن تحليل الخطاب بنحو النص ، يعني إعادة قراءة الخطاب أو النص في ضوء تصورات لسانيات النص وأدواتها ، ليصل من خلال تلك المعالجة النّصية إلى الكشف عن بنية النص ودلالته الكلية ، ووظيفته التي توافق المقاصد التي وضع من أجلها ، والبحث كذلك في العلاقات والروابط بين الجمل للوقوف على بنية النص الكلّية ونظمها .

ولا يمكن أن يتجه الباحث إلى البحث في تحليل الخطاب بمنهج نصي دون مراعاة العوامل السياقية للخطاب وكذا مرجعية النص.

وبناء على ماسبق يمكن القول في آخر هذا البحث أن منهج لسانيات النص وتحليل الخطاب صالح لأن يصاغ منه أنموذج تحليلي يستخرج أعماق النص ويكشف قيّمه الجمالية ، وذلك عن طريق البرهنة على مناسبة اللفظ لمعناه مناسبة دقيقة مطلقة لا يقوم غير اللفظ مقام اللفظ في الدلالة على معناه .

هوامش البحث

[1] رشيد عمران :مسارات التحول من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص – قراءة في بدايات ودواعي التأسيس والمساهمات العربية في اللسانيات النصية ، مؤتمر لسانيات النص وتحليل الخطاب ، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط1 ، 2013 ، ص 379 .

[2] محمد الأخضر الصبيحي : مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقاته ، الدار العربية للعلوم ناشرون – منشورات الاختلاف ، بيروت ، الجزائر ، ط1 2008، ص 69 .

[3] رشيد عمران :مسارات التحول من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص – قراءة في بدايات ودواعي التأسيس والمساهمات العربية في اللسانيات النصية ، مؤتمر لسانيات النص وتحليل الخطاب ، ص 382 .

[4] نعيمة سعدية ، التحليل السيميائي والخطاب ، عالم الكتب الحديث ، ط1 ، الأردن ، 2016 ، ص 3.

[5] المرجع نفسه ، ص ، 5 .

[6] عمر بلخير ، مقالات في التداولية والخطاب ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 ، الجزائر 2013 ، ص 10 .

[7] ذهبية حمو الحاج ، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ، دار الملل للطباعة والنشر والتوزيع ، ط 2 ، الجزائر ، 2012 ، ص 154 .

[8] دومينيك مانغنو ، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، تر محمد يحياتن ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط1 ، بيروت ، 2008 ، ص 27 .

[9] محمود عكاشة ، لغة الخطاب السياسي – دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال – ، دار النشر للجامعات ، ط1 ، مصر ، 2005 ، ص 41.

[10][10] مؤيد آل صوينت ، الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي ، أطروحة دكتوراه ، قسم اللغة العربية ،كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ، العراق ، 2009 ، ص 11.

[11] صابر الحباشة ، تحليل المعنى مقاربات في علم الدلالة ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، ط1 ، عمان ، 2001 ، ص 10.

[12] عمر بلخير ، مقالات في التداولية والخطاب ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 ، الجزائر 2013 ، ص 13

[13] نورمان فاركلوف ، تحليل الخطاب – التحليل النصي في البحث الاجتماعي ، تر : طلال وهبة ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، ط1 ، 2009 ، ص 7 .

[14] عماد عبد اللطيف ، تحليل الخطاب بين بلاغة الجمهور و سيميائية الأيقونات الإجتماعية ، مجلة فصول دراسات نقدية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ، ع84/83 ، 2013/2012 ، ص 509 .

[15] رشيد عمران :مسارات التحول من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص – قراءة في بدايات ودواعي التأسيس والمساهمات العربية في اللسانيات النصية ، ص 385 .

[16] المرجع نفسه ، ص 386

[17] جميل حمداوي ، محاضرات في لسانيات النص ، منشورات شبكة الألوكة ، ط1 ، 2015 ، ص 57

[18] محمد الأخضر الصبيحي : مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقاته ، الدار العربية للعلوم ناشرون – منشورات الاختلاف ، بيروت ، الجزائر ، ط1 2008، ص73 .

[19] المرجع نفسه ، ص 76

[20] محمد خطابي ، مطارحات في لسانيات النص وتحليل الخطاب ، مؤتمر لسانيات النص وتحليل الخطاب ، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط1 ، 2013 ، ص 396 .

[21] عبد الرحمن بودرع ، نحو قراءة نصية في بلاغة القرآن والحديث ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ، ط1 ، 2013 ، ص 30 .

[22] المرجع نفسه ، ص 31 .